تقرير

جبهة النصرة سلطان الله على الأرض

صبر درويش

DRSC

مركز دراسات الجمهورية الديمقراطية

12-11-2014

جبهة النصرة سلطان الله على الأرض

صبر درويش

عضو هيئة تحرير قسم التحليل السياسي والإحصاء في مركز دراسات الجمهورية الديمقراطية. إعلاميٌّ وصحفيٌّ سوريّ، درس في كلية الإعلام جامعة دمشق، عمل في مجال الإعلام أثناء الثورة السورية وساهم بتأسيس مركز شرارة آذار الإعلامي نهاية عام 2011، والذي صدر عنه جريدة شرارة آذار، كما عمل كصحفيٍّ ميدانيٍّ في مدن وبلدات محيط دمشق، وأمضى من نهاية عام 2012 وحتى نهاية 2013 في الغوطة الشرقية. له العشرات من التقارير الخبرية الميدانية الصحفية والتلفزيونية المنشورة في صحف وقنوات عربية عدة، كما ساهم مع فريق شرارة آذار بإخراج الفيلم الوثائقي "المشحم" الذي عرض على قناة العربية مطلع نيسان الفائت". اعتقل في 15-3-2011 أثناء مشاركته في مظاهرة الحميدية، وأُفرج عنه في نهاية آذار من العام ذاته، مقيم في بيروت منذ مطلع العام الجاري

الفهرس

مدخـل

تندرج جبهة النصرة في إطار التشكيلات السلفية الجهادية التي برزت في سوريا عقب الثورة التي انطلقت في آذار 2011؛ وخلال فترةٍ قصيرةٍ نسبياً، تمكنت الجبهة من تحقيق تغلغلٍ واسع في أوساط الثورة السورية، وعزّز من حضورها السريع سلسلة التفجيرات التي تبنّت تنفيذها والتي استهدفت من خلالها، مبنى قيادة الأركان في دمشق، وتفجير مبنى المخابرات الجوية في حرستا، بالإضافة إلى تفجير بمبنى نادي الضباط بحلب، وغيرها العشرات من العمليات المشابهة.

وعلى الرغم من التحفّظ الذي قوبلت به الجبهة، من قبل العديد من تشكيلات المعارضة السورية المندرجة تحت اسم "الجيش الحر"، إلا أنها تمكنت وخلال بضعة أشهر من أن تفرض نفسها كطرفٍ أساسيٍّ على جبهات القتال ضدَّ قوات الأسد، حيث تكفلت الجبهة بتنفيذ العمليات الانتحارية والتي شكلت وسيلة ناجعة في عمليات اقتحام مواقع قوات الأسد العسكرية، والتي نفذتها تشكيلات المعارضة السورية.

وأيضاً خلال فترة قصيرة، أدرجت الولايات المتحدة جبهة النصرة على قائمة المنظمات الإرهابية، وأشارت إلى ارتباطها بتنظيم القاعدة المدرج بدوره على قائمة الإرهاب الأمريكية. وهو الشيء الذي استدعى ردود فعل من قبل الشارع السوري المنتفض، كما من قوى المعارضة السياسية(1)، لشجب هذا القرار، وأبعد من ذلك، حيث خرجت العديد من المظاهرات، التي أعلنت دعمها لجبهة النصرة، باعتبارها مكوناً من مكونات الثورة السورية(2).

وأياً يكن الأمر، فإن تنظيم جبهة النصرة، وبغضِّ النظر عن موقف السوريين أو القوى الدولية منه، قد بات أحد أقوى وأهم التشكيلات العسكرية الفاعلة في الصراع السوري، وأهم الأطراف المكونة للمشهد السوري بشكل عام.

---

[1] - يقول جورج صبرا نائب رئيس الائتلاف الوطني السوري المعارض في حديث إلى شبكة سي إن إن الأمريكية حاورته الإعلامية كريستيان أمانبور إنه لا يفهم سبب إدراج أمريكا جبهة النصرة على لائحة الإرهاب. وأضاف أن الشعب السوري يعتبر النصرة جزءاً من الثورة. http://www.alkhaleej.ae/alkhaleej/page/af5c60c8-ca82-4023-b352-2d1ffe14c235

[2] - يقول تشارلز ليستر: "في ديسمبر 2012، صنفت وزارة الخارجية الأمريكية جبهة النصرة كمنظمة تابعة لتنظيم القاعدة في العراق، ومن ثمة كمنظمة إرهابية. ويوم الجمعة التالي، عوضًا عن الابتهاج بهذا التصنيف، تجمع المدنيون الداعمون للمعارضة في سوريا كلها احتجاجًا تحت شعار واحد "كلنا جبهة النصرة""، مركز بروكينجز للدراسات، هل تلوح جبهة النصرة "الحقيقية" في الأفق؟.

أولاً: سياق تكون النصرة

1-1: من العراق إلى سوريا: قصة التكوين

يختلف سياق تشكل جبهة النصرة، عن سياق نشوء التكوينات العسكرية والسياسية السورية الأخرى، وذلك قد يعود إلى أن جبهة النصرة تنتمي بالأصل إلى تنظيم سياسيٍّ وعسكريٍّ راسخ ومبلور ومهيكل، ولديه الخبرة التي تمتد لسنوات طويلة، وهو تنظيم القاعدة وفرعه تنظيم القاعدة في العراق، وهو ما قد يفسر السرعة الملفتة لتغلغل تنظيم الجبهة داخل سوريا ومباشرته عمليات القتال ضد قوات الأسد بزمن قياسي.

من الصعب الفصل بين تنظيمي الدولة الإسلامية بقيادة أبي بكر البغدادي، وتنظيم جبهة النصرة، بقيادة أبي محمد الجولاني.

فالجبهة خرجت من عباءة تنظيم الدولة، وذلك بعد أن كلف أبو بكر البغدادي الجولانيَّ بتشكيل خلايا ومجموعاتٍ تابعة للتنظيم في سوريا، كما أن ذلك ينطبق على تنظيم الدولة والذي كان يعدُّ امتداداً لتنظيم القاعدة العالمي والذي أمر –أي تنظيم القاعدة– بتشكيل تنظيم تابع له في العراق سنة 2003 بقيادة أبي مصعب الزرقاوي.

كلا التنظيمين يُعتبران امتداداً لتنظيم القاعدة بقيادة د. أيمن الظواهري في كلٍّ من العراق وسوريا، وذلك قبل أن يدبَّ الخلاف بين هذه الفصائل ويتحول أصدقاء الأمس إلى ألد الأعداء.

في عام 2011 اعتمد تنظيم دولة العراق الإسلامية على أبي محمد الجولاني في سوريا، وكان أحد قادة التنظيم الموثوق بهم، والذي كُلِّف بالإشراف على السلفيين الجهاديين في سوريا وتنظيم صفوفهم، وفي عام 2012 وتحديداً في 25 حزيران، تم الإعلان لأول مرة عن تشكيل "جبهة النصرة"[3]، والتي باشرت بتنفيذ مجموعة من العمليات الانتحارية داخل سوريا وتحديداً في العاصمة دمشق، مستهدفة مقرات أمنية وحكومية تابعة لنظام الأسد.

وحتى فترة الإعلان عن تشكل جبهة النصرة ومباشرة تنفيذ عملياتها في سوريا، لم يبرز إلى السطح أي حوادث صدامية بينها وبين تنظيم الدولة، بل على العكس من ذلك، إذ اعتبرت في

[3]- يقول الجولاني في بيان بثته جبهة النصرة: "تعالت أصوات النداء لأهل الجهاد، فما كان منا إلا أن نلبي النداء ونعود إلى أهلنا وأرضنا من الشهور الأولى لاندلاع الثورة".

تلك الأثناء امتداداً لتنظيم الدولة الإسلامية في سوريا، وأن أبا محمد الجولاني لا يعدو كونه "قائداً" مكلفاً من قبل أبي بكر البغدادي، وذلك حتى تاريخ إعلان البغدادي في نيسان 2013 عن توحد تنظيمي الدولة والنصرة في كيان واحد، وما استتبعه ذلك من ردود أفعال من قبل الجولاني، الذي نفى علمه بهذا القرار وأصدر بياناً "مضاداً" ينفي فيه التوحد مع تنظيم الدولة، وكردة فعل براغماتية أعلن الجولاني في تلك الأثناء مبايعته للدكتور أيمن الظواهري قائد تنظيم القاعدة، وبذلك باتت جبهة النصرة فرع القاعدة في سوريا من دون أي التباس بالأمر[4].

لا يوجد معلومات موثقة حول شخصية أبي محمد الجولاني، وهذا الأمر ينطبق على أغلب التفاصيل المتعلقة بتنظيم جبهة النصرة، كمصادر التمويل وعدد المقاتلين والشخصيات الحقيقية للقادة من الصف الأول والثاني؛ إلا أنه برزت بعض التسريبات من قبل بعض المقاتلين الذين عملوا في صفوف الجبهة وانشقوا عنها فيما بعد، بالإضافة إلى بعض التقارير الاستخباراتية والتي كشفت القليل عن أسرار تنظيم جبهة النصرة.

فالجولاني وبحسب بعض المصادر هو (أسامة الحداوي) من قرية الشحيل في ريف دير الزور، في 2003 كان أسامة "الجولاني" يدرس الطب في جامعة دمشق، ذهب إلى العراق لمقاومة الاحتلال الأمريكي، مع أخيه ثامر الحداوي خريج الاقتصاد، الذي قتل هناك، وأصبح الجولاني مقرباً من الزرقاوي ومن ثم من أبي عمر البغدادي[5]. إلا أن كلَّ ذلك لا يخرج عن إطار التكهنات التي يصعب إيجاد سندٍ لها، إذ يذهب بعض المحللين إلى اعتبار الجولاني هو ذاته شخصية أبي مصعب السوري، وذلك بالاستناد إلى درجة التطابق بين خطابي الشخصيتين "فقد حمل التشابه، وأحياناً التطابق بين أفكار أبي محمد الجولاني وأطروحات أبي مصعب السوري بعض الكتاب والباحثين إلى القول إنهم شخصٌ واحد"[6].

وبغضِّ النظر عن الرواية التي تتحدث عن اعتقال المخابرات السورية للجولاني بعد عودته من العراق، ومن ثَمَّ إطلاق سراحه عام 2011 مع باقي زملاء الجهاد في تلك الأثناء، فإن الجولاني

4- "يمكن القول إن جبهة النصرة تمثّل أصول تنظيم القاعدة الأكثر قيمة"، تشارلز ليستر وويليام مكانتس، الحرب الأهلية السورية: الحالة السياسية والعسكرية، مركز بروكنجز الدوحة.

5- راجع أبو بكر البغدادي في حلقات، موقع النشرة العراقية، http://cutt.us/p21qe

6- حسن أبو هنية، السلطة المرجعية لجبهة النصرة، موقع عربي21، 31 أغسطس 2014.

لم يسمع به في سوريا إلا في أواخر عام 2011 وارتبط اسمه بجبهة النصرة، بصفته المسؤول عن هذا التنظيم والمؤسّس له.

في أواخر عام 2011، باشرت الجبهة بتكوين خلايا تابعة لها في سوريا، ولم يذكر، وحتى تاريخ نيسان 2012، صدور أي بيان يعلن عن وجودها، وبعد هذا التاريخ الأخير أصبحت النصرة جزءاً أساسياً من الصراع الدائر في سوريا، بداية الأمر كفصيل "أتى لنصرة أهل الشام"، وفيما بعد كمكون سوري أساسي في الصراع الدائر.

على صعيد القيادات، فإن أغلب قيادات النصرة هم من المجاهدين العرب، الذين امتلكوا خبرات كبيرة إن كان في أفغانستان أو في العراق، منهم السوريون كالجولاني وأبي همام الشامي، ومنهم من جنسيات عربية مختلفة كالعريدي وأبي ماريا والتبوكي وغيرهم، إلا أنهم وجميعهم على وجه التقريب ممن كان من مجاهدي تنظيم القاعدة.

1-2 أهم قادة وشخصيات جبهة النصرة

A- أبو ماريا القحطاني

هو ميسر علي موسى عبد الله الجبوري، والمعروف بأبي ماريا القحطاني، يعود أبو ماريا بمسقط رأسه إلى قرية هرارة جنوب الموصل، لأبٍ عُرف بالتشدّد واعتناقه للوهابية ومعاداته لنظام البعث العراقي، درس حتى الإعدادية[7]، ولا شيء يؤكد متابعة دراسته لأبعد من ذلك.

ويشير خصوم أبي ماريا[8] إلى أنه خدم تحت إدارة "جيش الفدائيين" التابع لقوات صدام حسين، الرئيس العراقي السابق، الذي أسقطته القوات الأمريكية أثناء غزوها للعراق في 2003، وشغل منصباً في الجيش إلى أن تمَّ حلُّ الجيش على يد القوات الأمريكية، بعدها انضم إلى صفوف "الدولة الإسلامية"، ليصبح شرعياً في محافظة الموصل.

اعتقل أبو ماريا على يد القوات الأمريكية، وفي السجن تعرف على أغلب قيادات الجهاديين والذين وطد علاقات جيدة بهم؛ بعد خروجه من السجن توجه عام 2010 إلى سوريا "وكان موفداً إلى سوريا آنذاك – أي قبل بدء الأزمة– لمحاولة الاستقصاء عن إمكانية إنشاء تنظيم جهادي

[7]- سيرة الشيخ أبي ماريا القحطاني، مرصد الجهاد العالمي: http://mrsadaljihad.blogspot.com/2014/03/blog-post.html.

[8]- مزاحم السلوم، أبو ماريا القحطاني.. إمبراطور النصرة في دير الزور، على الرابط: http://mspsy.org/ar/?p=2587

فيها، وكان يصحبه رجلٌ آخر هو أبو عبد العزيز[9]، وفي عام 2011، وبعد ظهور أبي محمد الجولاني على الأراضي السورية، وبدئه بتشكيل خلايا جبهة النصرة، أعاد الجولاني التواصل مع أبي ماريا، الذي بات أحد أهمِّ شخصيات جبهة النصرة.

شغل أبو ماريا في صفوف جبهة النصرة عدّة مناصبَ هامّةٍ، فكان شرعيّاً عامّاً لجبهة النصرة وقائدَ المنطقة الشرقية العسكري، كما شغل مناصبَ أخرى "كإدارة الثروات وجمع عائداتها التابعة لجبهة النصرة والتي تشكل محافظة دير الزور عصبها وأغلبيتها الساحقة والمدير والعقل الأول لمعسكرات جبهة النصرة"[10].

وفي تطوّرٍ مريب، قرر أمير جبهة النصرة أواخر تموز الماضي، عزلَ الشرعيِّ في الجبهة أبي ماريا القحطاني من منصبه[11]، وتعيين الأردني الدكتور سامي العريدي عوضاً عنه شرعياً عاماً للجبهة.

أدّى القحطاني دوراً بارزاً في الهجوم الشرس الذي شنّته جبهة النصرة على تنظيم الدولة الإسلامية بزعامة البغدادي، وكان رأس حربة الردود على هذا التنظيم، يقول في سياق ردّه على إعلان الخلافة من قبل تنظيم الدولة الإسلامية: "إننا مازلنا نعتقد بضلال هذه الجماعة المارقة التي جمعت أصول الخوارج، وغدر الرافضة، وبهت اليهود، ولؤم الجهمية، وعداء النواصب، وما زادتنا هذه المحنة إلا يقيناً بهذا الأمر "[12].

ويُعَدّ القحطاني من ألدّ الأعداء لتنظيم الدولة الإسلامية، وهو واحدٌ من أهمِّ المتحدثين باسم جبهة النصرة، وهو الذي تكفَّل في مناسباتٍ كثيرةٍ بالردّ على "العدناني" شرعيِّ تنظيم الدولة.

تختلط المفردات والتراكيب في لغة القحطاني، حتى يكاد المراقب يُصاب بالحيرة، فهو، وبخلاف لغة الجهاديين، يتحدث عن "ثورة الشعوب المسلمة"، وعن "ثورات المظلومين"، في إشارة إلى الثورة السورية، ومن جهة أخرى يستحضر لغةً مغرقة في قدمها، فيتحدث مخاطباً أتباعه: "فعالجوا خوارج العصر –في إشارة إلى تنظيم الدولة– بالعلاج النبوي الناجع ألا وهو السيف

---

[9]- مصادر تكشف لآسيا هوية أبي ماريا القحطاني، موقع بانوراما الشرق الأوسط، http://cutt.us/Onf5

[10]- المرجع السابق.

[11]- عبد الله سليمان علي، «جبهة النصرة» تعزل صقورها في مواجهة «داعش»، جريدة السفير اللبنانية، 14-10-2014، http://www.assafir.com/Article/377897/RelatedArticle

[12]- من "رسالة إلى أهلنا في الشرقية للشيخ المجاهد / أبي ماريا القحطاني"، منتدى عرين المجاهدين، 3-8-2014: http://al3aren.com/vb/showthread.php?t=3260

المسلَّط على رقاب أحفاد ابن ملجم"، ويستحضر معارك من التاريخ الغابر كمعركة "النهروان" وغيرها، ويتوجه أخيراً إلى أتباعه بالقول: "رصّوا صفوفكم، وعدّوا أنفسكم، واشحذوا سيوفكم، وضمّروا جيادكم، فإن أمامكم أياماً وملاحمَ سيشيب من هولها الولدان، فأنتم أمل الشام بعد الله"[13].

وعلى الرغم من موقف القحطاني الجذري حيال الدولة الإسلامية، وانتمائه الذي لا لبس فيه لجبهة النصرة، إلا أن كل هذا لم يشفع له لدى الجولاني، والذي قرر إقصاءه من منصبه، هو وزميله المدعو "بأبي الليث التبوكي".

B-أبو الليث التبوكي

وهو سلطان بني عيسى العطوي، من منطقة تبوك في السعودية، والذي هاجر إلى سوريا صيف عام 2013 ليلتحق فور وصوله، بجبهة النصرة، ويصبح أميراً وشرعياً فيها.

وبحسب بعض المقربين من العطوي، فإن العطوي كان أديباً وشاعراً، وعضواً في نادي تبوك الأدبي، والذي فُصل منه حال أن أُشيع عن التحاقه بجبهة النصرة[14].

على صعيد مهني، كان العطوي عضواً في هيئة تبوك للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بصفته ممثلاً عن أمير منطقة تبوك فهد بن سلطان بن عبد العزيز، وعلى صعيد التعليم عرف عن العطوي أنه تلقى العلم الشرعي في منطقة قصيم في السعودية.
عُرف عن العطوي شدة عدائه لتنظيم الدولة الإسلاميّة المعروفة بـ "داعش"، وله العديد من التغريدات على موقع التواصل "تويتر" والكثير من التسجيلات الصوتية التي يهاجم من خلالها تنظيم الدولة.

وعلى الرغم من جذوره الثقافية، وقدرته على الكتابة الأدبية، إلا أن التبوكي لا يقدم أي جديدٍ على صعيد الخطاب الذي يتوجه به، إن كان لخصومه أو لأهل الشام[15]. وككل المتحدثين في جبهة النصرة، يهاجم التبوكيُّ تنظيم داعش ويصفهم "بالخوارج" و "المارقين" وغيرها من الصفات

[13]- المرجع السابق.
[14]- العطوي أمير (شرعي) في (جبهة النصرة)، محمد شمس، موقع الحجاز:
http://www.alhejaz.org/seyasah/0113602.htm
[15]- فيديو للتبوكي على اليوتيوب بعنوان: كلمة الشرعي بجبهة النصرة أبي ليث [سلطان بن عيسى العطوي] بعنوان نصرة أهل الشام.

المتداولة، كما يصف نظام الأسد، بالنظام "النصيري الكافر"، والصفوي وغيرها العشرات من الصفات الأخرى، ومن هنا نلاحظ أن أهمية التبوكي لا تكمن في قدرته الخطابيّة، ولا بكاريزما قتالية أو شيء من هذا القبيل، بل تكمن أهميته بصفته من المملكة العربية السعودية، وهو شيء كان الجولانيّ بأمس الحاجة إليه في سياق ترتيبه لشؤون التنظيم الداخلية ولاسيّما في مرحلة الشقاق من تنظيم "داعش"، فوفّر التبوكيّ لجبهة النصرة قنوات اتصال مهمة مع شخصياتٍ سعودية، كما أدى خطابه التحريضيٌ دوراً في دفع العديد من الشبان السعوديين القادمين إلى "أرض الرباط" للتوجه والانضمام إلى جبهة النصرة والقتال في صفوفها.

وفي شهر آب من العام الجاري(2014)، أصدرت جبهة النصرة بياناً عزلت فيه أبا الليث التبوكي من منصبه كشرعيٍّ في جبهة النصرة وأتى في البيان: "اجتمع مجلس شورى جبهة النصرة في المنطقة الشرقية، وبعد المداولة والمناقشة والاستماع للشكاوى والشهادات وتقويم القضاة في الجماعة، وذلك في محاضر مسجلة أصولاً، حول وضع الأخ سلطان عيسى العطوي الملقب بـ «أبي الليث التبوكي»، ونتيجة لممارسات هذا الأخ، ومخالفته لسياسة الجماعة، وعدم التزامه بها، فلقد قرر المجلس تنفيذ ما يلي: فصل الأخ المذكور من جماعة جبهة النصرة، واعتباره لا يمثلها رسمياً وإعلامياً. والجماعة غير مسؤولةٍ عن تصرفاته بعد صدور هذا البيان، وتعزيزه بالحبس لمدة أسبوعين من تاريخ توقيفه، وعدم السماح له بالتردد على مقرات الجماعة حتى إشعارٍ آخر، والتحفظ على ما تحت يديه من أموالٍ منقولةٍ وغير منقولةٍ، لحين البت فيها، وينشر هذا البيان أصولاً، ويوزع على أفرع الجماعة ومقراتها"[16].

ورغم ذلك فإن العطوي أجّل إعلان خروجه من الجبهة لأكثر من شهرين ونصف الشهر، وأعلن في منتصف شهر تشرين أول، عبر حسابه في موقع التواصل الاجتماعي «تويتر»، مدعياً أن انشقاقه لـ «أسباب شرعية»[17].

[16]- بيان بحق المدعو سلطان بن عيسى العطوي الملقب بـأبي الليث التبوكي، موقع المنبر الإعلامي الجهادي: https://alplatformmedia.com/vb/showthread.php?p=315967

[17]- السعودي العطوي «شرعي النصرة» يعلن انشقاقه... واتهامات «العمالة» تلاحقه، جريدة الوسط، http://shababunity.net/show.php?id=2017606

C- أنس حسن خطاب

أنس حسن خطاب، والمعروف بأبي عبد العزيز، والمعروف أيضاً "بالخال" لدى أفراد جبهة النصرة؛ وهو فلسطينيٌّ يحمل الجنسية الأردنية، وبعد مقتله بداية عام 2014 الجاري على يد تجمع ألوية شهداء سوريا، برزت بعض التسريبات التي تشير إلى أن اسم "أنس خطاب" هو أحد الأسماء المستعارة للمدعو "محمد يوسف العثامين"[18].

وأياً يكن من أمر أبي عبد العزيز أو أياً يكن اسمه، فهو واحدٌ من أهم مؤسسي جبهة النصرة، والذين هاجروا من العراق إلى سوريا مع بداية ثورة السوريين سنة 2011، ويعد الرجل الثالث في جبهة النصرة بعد الجولانيّ وأبي ماريا؛ حيث استلم أبو عبد العزيز "إمارة القطاع الشمالي" في سوريا.

لأنس حسن خطاب، تاريخٌ عريقٌ بالعمل الجهاديّ، يمتد على نحو ربع قرن، قضاها برفقة الشيخ عبد الله عزام إبان الحرب في أفغانستان ضد السوفييت، وانتقل بعدها إلى العراق ليقاتل إلى جانب أبي مصعب الزرقاوي، وبعدها دخل سوريا حيث لقي مصرعه فيها.

D- سنافي النصر "الشارخ"

وهو عبدالمحسن عبدالله إبراهيم الشارخ، سعودي الجنسية، مولود في منطقة شقراء، ولا يوجد معلوماتٌ حول تعليمه أو شيوخ الإسلام الذين تتلمذ على أيديهم.

انخرط هو وإخوانه الستة بالعمل الجهادي منذ وقتٍ مبكر، قُتل من قتل منهم، وتذكر بعض المصادر وجود اثنين من إخوانه في معتقلات أمريكيّة. غادر السعودية إلى إيران، والتي أقام فيها لفترة من الزمن وأدى دوراً لوجستياً لصالح تنظيم القاعدة في زمن أسامة بن لادن، والذي تربطه به علاقة قربى.

وبحسب بعض المصادر، كان الشارخ قد غادر السعودية عام 2007 إلى البحرين، ومن هناك إلى إيران، وبعدها سافر إلى أفغانستان ليلتحق هناك بمقاتلي القاعدة، ويصبح واحداً من المقربين من قادتها.

18- مقتل «الوالد».. أحد مؤسسي «النصرة»، جريدة السفير اللبنانية، 9-1-2014، http://www.assafir.com/Article/333394/relatedarticle

دخل سوريا في عام 2013، والتحق بجبهة النصرة، وخلال فترةٍ قصيرةٍ أصبح أمير جبهة الساحل السوريّ، وهناك لقي الشارخ مصرعه في معركة "الأنفال" التي كانت تخوضها قوات المعارضة السورية ضد قوات الأسد[19].

في السادس عشر من آب عام 2014، أدرجت الخارجية الأمريكيّة[20] اسم الشارخ ضمن قائمة الإرهابيين ووضع اسمه كمطلوبٍ للعدالة.

وككلّ شخصيات التيارات الجهادية، يلف الغموض تجربة الشارخ، فهو من مواليد عام 1985، ويعدُّ صغير العمر نسبياً، إلا أن المواقع الإعلامية الجهادية غالباً ما تضخم بسِير هذه الشخصيات، فعلى سبيل المثال يردد بعضهم الحديث عن سيرة الشارخ أنه من تلاميذ الشيخ عبد الله عزام، ونحن نعلم أن عزاماً عندما قتل عام 1989 كان عمر الشارخ لا يتجاوز الأربع سنوات.

على صعيد ميدانيٍّ، لا يوجد ما يثبت أو يشير إلى أن الشارخ خاض، على الأقل في سوريا، عملياتٍ عسكريّةً معتبرة، ولا يوجد في سجله قيادة أي معركة ذات قيمة إستراتيجية، وهو عندما قتل كان عمره 29 عاماً.

على صعيد معرفيٍّ أو فقهيٍّ، لا تذكر كل السير التي تناولت حياة الشارخ، حصوله على أي شهادةٍ دراسيّةٍ شرعيّةٍ كانت أو غير ذلك، كما لا يذكر أنه تتلمذ على أيدي أيٍّ من المشايخ المعروفين، وكنتيجة لذلك من الصعب أن نجد للشارخ نصوصاً مكتوبةً باسمه، سوى مقالتين بعنوان: "قبل النفير" والأخرى: "بعد النفير[21]"، وهما أقرب إلى السجع والتداعي منه إلى المقال!.

وغالباً ما كانت الصورة الحقيقية لهذه الشخصيات، تظهر إلى العلن بعد مقتلهم، أو عندما يقعون في الأسر. وفي كل الحالات سنجد مسافة بين الشخصية التي ترسمها وسائل إعلام "المجاهدين" وبين حقيقة هذه الشخصية كما هي على أرض الواقع. فكم واحداً منا كان يعلم أن الشخصية المشهورة "سنافي النصر" عندما دخل سوريا كان بعمر العشرينيات؟!.

19- مقتل أمير "جبهة النصرة" سنافي النصر في اللاذقية، جريدة الحياة، الجمعة، ٢١ مارس/ آذار ٢٠١٤.

20- راجع: قرار لمجلس الأمن تحت الفصل السابع ضد الجهاديين في العراق وسورية، الوكالة الاتحادية للأنباء، http://www.ittihadna.net/sub.aspx?ID=6781&CatID=3&page=2

21- ما قبل النفير، عبدالمحسن الشارخ، منتدى عرين المجاهدين: http://cutt.us/lcN18

E- الدكتور سامي العريدي

المسؤول الشرعي الأول لجبهة النصرة، والذي عيّن في منصبه هذا بعد أن تمّ إقالة أبي ماريا القحطاني، الذي كان يشغل هذا المنصب لدى النصرة، والذي تمت إقالته على ضوء تفاقم الصراع بين تنظيم الدولة الإسلامية والنصرة، ولاسيّما بعد خسارة النصرة للعديد من المعارك في مواجهة تنظيم الدولة الإسلامية شرقِ البلاد.

الدكتور سامي العريدي، والمعروف بأبي محمود الشامي، أردنيّ الجنسية من مواليد عمان 1973[22]. حاصل على الشهادة الجامعية الأولى في علوم الشريعة من الجامعة الأردنية. وفي سنة 1994 واصل دراسته في الجامعة ذاتها لنيل درجة الماجستير في الحديث، والتي حصل عليها فعلاً سنة 1997. وفي سنة 2001 نال درجة الدكتوراه في الحديث. ومن بين مؤلفاته رسالة الدكتوراه التي تدور حول "الإمام النسائي"، وكتاب حول الشيخ ابن تيمية.

يتواجد العريدي، وبحسب بعض المصادر، داخل الأراضي السوريّة، وتحديداً في منطقة الجنوب، أي محافظة درعا السورية، وهو من القلة، على صعيد قيادات النصرة الرفيعة، من المتواجدين في جنوب سوريا، ونعتقد أن جنسية العريدي الأردنية، ووجوده بالقرب من الأردن، له دلالاتٌ مهمة حول دور العنصر الأردني في تنظيم النصرة، وعدد المقاتلين الذين يشغلونه، وحجم تواجدهم على صعيد القيادات من الصف الأول والثاني[23].

حظي العريدي بتغطية إعلاميّةٍ كبيرة من قبل جبهة النصرة، فقد أشار إليه الجولاني أثناء المقابلة[24] التي أجراها معه تيسير العلوني على قناة الجزيرة بتاريخ 19 كانون الأول/ديسمبر 2013، حيث أوصى بضرورة العودة إلى المقابلة التي أُجريت مع العريدي في وقت سابق[25]، وقد نصح بالانتباه إلى ما يقوله العريدي، باعتباره من يمثل موقف التنظيم من المسائل الشرعية والعقائدية.

22- من هو سامي العريدي، وكيف يرى وينظّر لجبهة النصرة ؟، موقع تحرير سوري، تاريخ النشر: 26/04/2014.

23- " وبات الأردنيون يشكلون العدد الأكبر من مقاتليها في جنوب سوريا ولاسيما في مدن درعا وريف دمشق، في حين تقاتل أعداد أقل في حمص وحماة.

ويشير راصدون لعمل الجبهة إلى أن الأردنيين باتوا يحتلون المرتبة الثالثة من حيث العدد في صفوف النصرة على مستوى كامل التراب السوري بعد التونسيين والسعوديين، ويأتي العراقيون في المرتبة الرابعة. ويقدر عدد الأردنيين المقاتلين في جبهة النصرة بنحو ٣٥٠". أخبار الآن | عمان – الاردن، 19-10-2014.

24- لقاء اليوم.. أبو محمد الجولاني.. النصرة ومستقبل سوريا، http://www.youtube.com/watch?v=DIr1HoHJlQA

25- مقابلة مع الدكتور سامي العريدي حفظه الله بعنوان منهجنا وعقيدتنا، http://www.youtube.com/watch?v=pYb8Rh_Kwpo

كما يوجد للعريدي العديد من المقابلات واللقاءات والتي يسعى من خلالها إلى عرض أفكاره وأفكار جبهة النصرة بشكلٍ عام، وهو ما سنتوسع به لاحقاً أثناء نقاش أفكار ومرجعيات النصرة.

لا يختلف العريدي في أفكاره وأطروحاته الأساسية عن أطروحات أغلب منظري التيار الجهادي في العالم، ولا يقدّم جديداً على هذا الصعيد، غير، ربما، القليل من البراغماتية والحنكة السياسيّة والتي تفرضها ظروف الحرب التي تجري في سوريا، وطبيعة تركيبة القوى المعارضة الأخرى ودرجة علاقة النصرة معها، عداك عن طبيعة المجتمع السوريّ بشكل خاص وطبيعة تركيبته الثقافية والاجتماعيّة التي تعمل النصرة في إطارها.

يأتي تنصيب العريدي كشرعيٍّ أول للنصرة في سياق إعادة هيكلة وترتيب البيت الداخليّ للتنظيم، وهو يأتي في سياق إعلان أبي محمد الجولانيّ قيام إمارة الشام الإسلامية، والذي جرى الإعلان عنها في تموز العام الجاري (2014)، وهو ما سنتوسع به لاحقاً.

قاسم مشترك

ضمت جبهة النصرة على صعيد قيادات الصف الأول والثاني، العشرات من الأسماء القيادية والتي ومن خلال التدقيق لاحظنا أنها تنتمي إلى جنسيات مختلفة، أردنية كحال العريدي، وسعودية بحضور كثيف، كالشارخ والتبوكي وغيرهم، وأن هذه القيادات في معظمها كان من المنتمين لتنظيم القاعدة بزعامة الظواهري، وأن معظمهم لديه تجربة واسعة "بالجهاد" ولديه خبرة بالعمليات القتالية، وأنهم وفي معظمهم موجودون على قائمة الإرهاب الدولية، أسماء كمحسن الفضلي، وأبي همام السوري، وأبي فراس السوري، وأبي خالد السوري، وغيرهم العشرات، ممن لا نملك عنهم وعن أسمائهم الحقيقية سوى النزر اليسير من المعلومات، والتي تزداد كلّما قُتل واحدٌ منهم أو وقع بالأسر.

3-1: من جبهة للنصرة إلى إمارة للسيطرة

ما هو مؤكد بالنسبة لجبهة النصرة، هو تحليها ببراغماتيّة عالية ومرونة على صعيد الممارسة السياسيّة، وهي سمةٌ يتسم بها تنظيم القاعدة بشكل عام، بخلاف تنظيم الدولة الإسلامية "داعش"، إن كان أثناء تجربته في العراق بعد الغزو الأميركي عام 2003، أو أثناء تواجده على الأراضي السوريّة فيما بعد.

في بداية الأمر، اتسم خطاب النصرة الموجه إلى قوى الثورة السورية بنوعٍ من الحيادية، حيث عبّرت النصرة عن أن وجودها في سوريا لا يتعدى مشاركة مقاتلي سوريا ثورتهم ضد نظام الأسد، وأنها موجودة في سوريا "لنصرة أهل الشام فقط"، وأنها لا تسعى إلى فرض سلطتها على السوريين، كما أنها لا تسعى إلى إقامة إمارةٍ أو خلافةٍ خاصّة بها.

إلا أن جبهة النصرة ومع اشتداد قوتها على الأراضي السوريّة، وتحولها إلى لاعبٍ مهمٍّ على صعيد الصراع الدائر، قامت بالإعلان في شهر تموز من العام الجاري (2014) عن تأسيس إمارة الشام الإسلامية[26]، وهو تطور لافت لم توله وسائل الإعلام المهتمة بالشأن السوري الأهمية الكافية في التحليل على الرغم مما نراه أنه يمثل تطوراً مهمّاً وخطيراً على صعيد تنظيم جبهة النصرة.

في جوٍّ ذي طابع احتفاليّ، يلقي الجولاني كلمته أمام جمهور من أتباعه، يبشرهم بتحقيق الوعد، الذي وعدو به، يقول مخاطباً أنصاره: "آن الأوان لأن نقيم إمارة إسلامية على أرض الشام تطبق حدود الله عز وجل، تطبق شرعه بكل ما تقتضيه الكلمة من معنى، دون تهاون أو استهانة أو مواراة أو مجاراة.. آن الأوان آن لأن نقيم إمارة إسلاميّة على أرض الشام تحفظ حقوق المسلمين وتصون حرماتهم وتصون مقدساتهم تؤدي الزكاة وتقيم الحدود وتفعل كل ما يأمرنا به الله عز وجل من الصغيرة إلى الكبيرة".

ولم يكن الجولاني واضحاً وصريحاً كما كان في كلمته هذه، حدد أهداف تنظيم جبهة النصرة، وحدد سيرورتها اللاحقة، وقارب مستقبل سوريا ما بعد سقوط النظام، وعبر بشكل لا لبسَ فيه عن مشروع جبهة النصرة الإستراتيجي، والذي لا يَدَعُ مجالاً إلى الشك في أنه مشروعٌ جهاديٌّ سلفيٌّ لا يقبل المواربة، ويؤكد على انتماء جبهة النصرة إلى الأيديولوجية الجهادية السلفية لتنظيم القاعدة، وسعيها إلى إقامة خلافةٍ إسلاميّةٍ في سوريا الكبرى (الشام الذي يشمل أراضي سوريا، لبنان، الأردن، إسرائيل، وفلسطين)، يجري الاحتكام فيها إلى الشريعة الإسلامية. يقول الجولاني: "أيها الأحبة الكرام مفتاح هذه الإمارة بأيديكم أنتم من يستطيع إقامتها في هذه اللحظة في غضون عشرة أيام لو أنكم سمعتم وأطعتم لتقديم هذا الأمر.. بيدكم هذا المفتاح لا ينازعكم فيه أحد سواء

[26]- الإعلان عن تأسيس إمارة الشام الإسلامية، كلمة الجولاني، نشر في 11-7-2014، http://www.youtube.com/watch?v=uEgxf1TSu-A

في أرض الشام أو غيرها أنتم من اختاركم الله عز وجل لأن تكونوا في محطة صراع تاريخيّ ينتظره المسلمون منذ 1400 عام"[27].

وإن كان ثمة شكوك فيما مضى، ساورت بعض المراقبين حول موقف جبهة النصرة من القوى الأخرى المختلفة مع مشروعها، وموقفها من الديموقراطية وغيرها، فالجولاني في خطابه هذا، قطع الشك باليقين، وثبت موقف تنظيمه حيال "الآخر"، يقول وسط جوٍّ من التهليل: "لن نسمح لمشاريعَ علمانية ولا لمشاريع انبطاحيّةٍ ولا لمشاريع خارجيةٍ غازية لن نسمح لأحد كائناً من كان أن يقطف ثمار جهادكم مهما بلغ بنا الحال"[28].

لم تعد جبهة النصرة "ضيفاً" على قوى المعارضة السورية، أتى لنصرتها ومد يد العون لها، بات عنصراً مقرراً لمستقبل سوريا السياسيّ، ولاعباً من الصعب تجاهله.

يأتي إعلان الجولاني عن تأسيس إمارة الشام الإسلامية، بعد نحو عشرة أيام من إعلان أبي محمد العدناني المتحدث الشرعي باسم تنظيم الدولة الإسلامية عن إقامة دولة الخلافة الإسلامية، بزعامة "الخليفة" البغدادي، في التاسع والعشرين من شهر حزيران من العام الجاري (2014)؛ وهو ما بدا وكأن جبهة النصرة وضعت في موقف أجبرت فيه رداً على إعلان تنظيم الدولة الإسلاميّة عن إقامة خلافته، إلى إقامة "إمارتها" الخاصة، وتحويل أبي محمد الجولاني من "مسؤول" جبهة النصرة، إلى "أمير" للجبهة.

وهي إستراتيجيّةٌ اعتمدت عليها النصرة في مواجهة التفكك الذي وضعت فيه على إثر استمرار زمن الصراع بينها وبين تنظيم البغدادي العنيد[29]، والذي تمكن عبر الأشهر السابقة من تسجيل انتصارات مهمة على تنظيم النصرة، أولها كان حسم معارك المناطق الشرقية من سوريا لصالح تنظيم الدولة، وبعدها تزايد أعداد المقاتلين الأجانب المنشقين عن النصرة والذاهبين للانخراط بالقتال إلى جانب تنظيم الدولة[30].

27- من كلمة الجولاني أثناء الإعلان عن تأسيس إمارة الشام الإسلامية، مرجع سابق.

28- كلمة الجولاني، المرجع السابق.

29- يقول الباحث حسن أبو هنية: "لا شك بأن الإستراتيجية الجديدة لجبهة النصرة جاءت بعد أن أعلن الفرع العراقي المتمرد على القاعدة عن قيام دولة "الخلافة"، وحدوث حالات من الانقسام والتشرذم والتصدع في صفوف النصرة وخسارة المنطقة الشرقية وسقوطها بيد دولة البغدادي"، إمارة الشام الإسلامية: إستراتيجية النصرة في مواجهة الخلافة، 13 يوليو 2014، موقع عربي21.

30- راجع: انشقاقات في صفوف جبهة النصرة إلى تنظيم الدولة الإسلامية في سوريا، سرباز يوسف، موقع ARA News، بتاريخ: 23/10/2014.

من جهة ثانية، عكس هذا التسارع من قبل كلا التنظيمين في إعلان الخلافة، رغبة كلا الطرفين في محاولة احتكار شرعية السلفية الجهادية على الساحة السورية، وهو صراع وجدنا أنه بدأ بين جناحي القاعدة في سوريا (الدولة والنصرة)، والذي لم يحسم بعد لأي طرفٍ منهما.

إلا أنه بات من الواضح أن الصراع بين هذين الجناحين للجهادية العالمية، وصل إلى مرحلةٍ لم تعد تنفع معها السياسة الناعمة والنصح الذي اعتمده الظواهريّ زعيم تنظيم القاعدة، فيما مضى، وأن المرحلة باتت تفرض صراعاً عنيفاً بين هذين الجناحين، ليكون واحداً منهم فقط من يسيطر على مشهد الجهاد في سوريا. ومن هنا يأتي إعلان جبهة النصرة عن إقامة إمارتها، كإستراتيجية، تندرج في سياق الرد على تنظيم الدولة الإسلامية، ومؤشر إلى أن الصراع بين الطرفين وصل إلى ذروته.

منذ مباشرة جبهة النصرة للعمل داخل الأراضي السورية، عملت على إرساء إستراتيجية طويلة المدى، تتسم ببراغماتية عالية، بداية، عملت النصرة على التغلغل داخل نسيج المجتمع السوريّ، وبذلت الكثير من الجهد للظهور بمظهر "حسن" أمام السكان كما امتنعت عن فرض رؤيتها بالقوة على السكان السوريين في المناطق الخاضعة لسيطرتها، وبذلت جهوداً كبيرة لتقديم المساعدة للسكان المحليين وملء الفراغ السلطوي الذي نشأ في "المناطق المحررة"[31].

كما عملت على التقرب من أغلب الفصائل العسكريّة للمعارضة، ولاسيّما الفصائل الإسلامية منها، كأحرار الشام، وابتعدت قدر الإمكان عن بلورة مواقف واضحة حيال مجاميع المعارضة العسكرية المعتدلة، كتشكيلات "الجيش الحر"، وفي كلّ الحالات ظهرت جبهة النصرة، كفصيل مقاتل حسن السمعة والانضباط، وهو ما أدى إلى اكتساب النصرة لاحترام التشكيلات العسكرية المعارضة ومن قبلهم السوريون المنتفضون.

نجحت النصرة على هذا الصعيد، في إرساء بناء تحتي متين لتطور عملها المستقبلي، وهو ما سمح لها لاحقاً بإعلان قيام إمارتها الإسلامية، وهو تطور دراماتيكي كما لاحظنا أعلاه، أماط اللثام عن جبهة النصرة ومشروعها حيال مستقبل سوريا، والذي من الواضح أنها ستكون جزءاً أساسياً منه، كما سنلاحظ ذلك لاحقاً.

---

[31] راجع دراسة بعنوان: استقرار فروع تنظيم القاعدة في سوريا، تاريخ النشر: 17-9-2013، مجهول اسم الكاتب، رابط النشر: http://www.terrorism-info.org.il/ar/articleprint.aspx?id=20573ظ

1-4: مصادر التمويل

بإعلان أبي محمد الجولاني بيعته للدكتور أيمن الظواهري، حسم الأمر حول طبيعة انتماء جبهة النصرة، باعتبارها جناحاً أساسياً لتنظيم القاعدة الدوليّ. وهو ما يشير بطبيعة الحال إلى أن أهم مصدر من مصادر تمويل جبهة النصرة، ما تحظى به من تمويل جيد غالباً من تنظيم القاعدة الأم ذاته.

في بداية الأمر، وبحسب العديد من المصادر، فإن الجبهة تلقت بداية الأمر الدعم الماليّ واللوجستيّ من تنظيم الدولة الإسلامية في العراق، "وقد ذكر زعيمها أبو بكر البغدادي ذلك في بيان إعلان الدولة الإسلامية في العراق والشام 9 نيسان/ أبريل 2013 قائلاً: "عندما تخلى أهل الأرض عن نصرة أهل الشام، انتدبنا (الجولاني) ومعه مجموعة من أبنائنا، ودفعنا بهم من العراق إلى الشام على أن يلتقوا بخلايانا في الشام، ووضعنا لهم الخطط، ورسمنا لهم سياسة العمل، ورفدناهم بما في بيت المال مناصفة في كلّ شهر، وأمددناهم بالرجال ممن عرفوا ساحة الجهاد"[32].

وبعد انقطاع العلاقة بين تنظيمي الدولة الإسلامية وجبهة النصرة، أصبح للجبهة مصادرها الخاصة بالتمويل، ومن أهم هذه المصادر:

الغنائم: وهو مصطلحٌ ساد أوساط التشكيلات العسكريّة المعارضة في سوريا مع تنامي معاركها ضد قوات الأسد. وشكلت مخازن الذخيرة والعتاد الذي استولت عليها جبهة النصرة مصدراً مهماً وفر لها جزءاً مما تحتاجه من السلاح والذخائر، كما حدث أثناء معارك الاستيلاء على قاعدة الشيخ سليمان والفوج 46، ومستودعات خان طومان، ومستودعات مهين. كما عمدت جبهة النصرة على الحصول على حصّةٍ من الغنائم –وصلت حتى 40%– من خلال مشاركتها في العمليات العسكرية مع باقي فصائل المعارضة السورية.

آبار النفط والمرافق العامة: وفرت حقول النفط التي استولت عليها جبهة النصرة بعد انسحاب موظفي نظام الأسد مصدراً حاسماً في أهميته، كواحدٍ من أهمّ مصادر التمويل. لذا سعت جبهة النصرة ومنذ بداية عام 2013 إلى السيطرة على حقول النفط في محافظة دير الزور والحسكة،

[32]- راجع: "النصرة" تحرم "داعش" من الذهب الأسود: عن مصادر تمويل الحركات الجهاديّة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات 14-02-2014، مجهول اسم الكاتب، منشور على موقع زمان الوصل على الرابط:
https://www.zamanalwsl.net/news/46571.html

وهو الشيء الذي فتح عليها حرباً ضروساً مع تنظيم الدولة الإسلامية والتي سعت بدورها إلى السيطرة على منابع النفط في سوريا والتي وفرت ملايين الدولارات يومياً لمن سيطر عليها لاحقاً. إضافة إلى سيطرة جبهة النصرة على العديد من آبار النفط السورية، سعت الجبهة إلى تنظيم الحياة المدنية في المناطق التي سيطرت عليها، فعمدت إلى السيطرة على البنى التحتية والمنشآت العامة واستثمارها بما يدرُّ الربح عليها، كالسيطرة على صوامع الحبوب، والسيطرة على مصادر الطاقة، وفرض الضرائب على النقل وغيرها، كما استثمرت النصرة في حلب وبعض مناطق ريف إدلب بحافلات النقل العام.

الخطف وطلب الفدية: اعتمدت جبهة النصرة على أسلوب خطف بعض الشخصيات المهمة من صحفيين ورجال دين وغيرهم، وطلب فديةٍ ماليّةٍ كبيرةٍ كشرط للإفراج عنهم. هذا ما حدث على سبيل المثال أثناء اختطاف الجبهة لـ 12 راهبةً من دير معلولا شمال العاصمة دمشق، حيث أدت قطر دوراً محورياً في التفاوض من أجل إطلاق سراحهن وبحسب بعض المصادر فإن قطر سلّمت الخاطفين مبلغ 16 مليون دولار مقابل إطلاق سراح الراهبات[33]. ومن بين الرهائن الذين ساعدت قطر في تأمين إطلاق سراحهم أيضاً "بيتر ثيو كيرتس"، وهو أميركي احتجزته جبهة النصرة نحو عامين، كما ساعدت قطر في التفاوض على إطلاق سراح 45 جندياً فيجياً من قوة حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة المنتشرة على الحدود السورية الإسرائيلية، كانت اختطفتهم جبهة النصرة في وقتٍ سابق[34].

تبرعات المشايخ والمنظمات الخيرية الخليجية: بعد أن بايع الجولاني زعيم تنظيم القاعدة أيمن الظواهري، حصلت جبهة النصرة على شرعية القاعدة ودعم مموليها من مشايخ الخليج ومنظماتها الخيرية، وبحسب صحيفة نيويورك تايمز في عددها الصادر في 8 سبتمبر 2014 "فإن قطر توفر ملجأ آمناً لعددٍ من الشيوخ والدعاة، الذين تتضمنهم قائمة الخارجية الأمريكية كمانحين رئيسيين لفرع تنظيم القاعدة في سوريا، ومن بينهم الشيخ الكويتي حجاج العجمي". لافتة إلى "أن العجمي تحدث مؤخرًا أمام عدد من الأثرياء القطريين في مؤتمر عقد في الدوحة قائلًا:

33- قطر تنسق في خلفية المشهد السوري بين جبهة النصرة والنظام، جريدة العرب اللندنية، 11-3-2014.
34- أخبار قطر: قطر تنفي دفع أي فدية للجماعات المتطرفة، موقع نيوز أونلاين، 30-9-2014.

امنحوا أموالكم لأولئك الذين سوف ينفقونها على الجهاد، وليس للمساعدات الأخرى"[35]. ولا يقتصر الأمر على قطر، بل يتعداه ليشمل كلاً من الكويت والسعودية.

المصادر الإقليمية: لا يوجد ما يؤكد أياً من النظريات السائدة حول الدول التي تقدم الدعم لجبهة النصرة، إذ لا وثائق حول الموضوع ولا معلومات مؤكدة، فالمسألة هنا لا تخرج عن إطار التحليل والتكهنات.

توجه أصابع الاتهام في تمويل جبهة النصرة إلى دولة قطر، وعلى الرغم من غياب الوثائق التي تثبت ذلك، إلا أن هناك الكثير من الدلالات والمؤشرات التي تقود إلى هذا الاستنتاج.

على سبيل المثال، وعلى الرغم من شدة الإجراءات الأمنية التي تعتمدها جبهة النصرة، إلا أن قناة الجزيرة الفضائية والتابعة لدولة قطر، تمكنت وبشكل خاصٍّ، من إجراء مقابلة حصرية مع الجولاني زعيم جبهة النصرة، ومن المعروف أن قيادات رفيعة في جبهة النصرة لم يتح لها التعرف على زعيمها، وهو مؤشرٌ، نعتقد بأنه يشير إلى حجم وطبيعة العلاقة الوطيدة التي تربط بين قناة الجزيرة ومن خلفها دولة قطر، وجبهة النصرة، هذه العلاقة التي أتاحت لقطر، وبخلاف غيرها، من التعرف على واحدةٍ من أهمّ وأخطر الشخصيات في العالم، وهي شخصية أبي محمد الجولاني الحقيقية.

من جهة أخرى، ينشط في دولة قطر العشرات من المشايخ والمنظمات التي تجمع التبرعات على الملأ، وتقوم بإرسالها إلى جبهة النصرة وزميلاتها من المنظمات التابعة لتنظيم القاعدة في بلدان أخرى غير سوريا، وكل هذا يجري على مرأى من دولة قطر.

كما لا يخفى الدور المحوري الذي أدته قطر في أكثر من مناسبة كوسيط لدى جبهة النصرة لإطلاق سراح العديد من المخطوفين لديها، وفي أغلب الأحيان كانت قطر تدفع مبالغ هائلة كفديةٍ لهؤلاء المخطوفين، وهو شيء أيضاً يشير إلى قنوات التمويل الغير مباشرة التي توفرها قطر لجبهة النصرة[36].

[35]- نيويورك تايمز: دعم قطر للمتطرفين ينفر حلفاءها في الشرق الأوسط وخارجه، 8 سبتمبر 2014، المرجع موجود على موقع: وكالة أنباء مسيحي الشرق الأوسط.

[36]- "كشفت التحقيقات أن النعيمي أمر في سنة 2013 بتحويل حوالي 600 ألف دولار لحساب تنظيم القاعدة عبر ممثل هذا التنظيم في سوريا، أبو خالد السوري، كما كان ينوي تحويل ما يقرب من 50 ألف دولار أخرى"، موقع شبكة سكاي إيجي الإخبارية، 2014-10-26.

ثانياً: البنية الفكرية والنظرية لجبهة النصرة

سنسعى عبر هذا الباب إلى عرض البنية الفكرية والنظرية، والهيكلية التنظيمية لجبهة النصرة، وسنسعى إلى عرض بعض أفكار أهمّ منظريها الذين تكفلوا بصياغة تصوراتها وأفكارها وتصميم سياساتها وبناء إستراتيجياتها العامة.

2-1: البنية الفكرية والنظرية لجبهة النصرة

ينصح أبو محمد الجولاني في المقابلة التي أجريت معه على قناة الجزيرة في كانون أول 2013، بالعودة إلى الدكتور سامي العريدي، شرعي جبهة النصرة، في شؤن العقيدة، فهو مخوّلٌ للحديث عن عقيدة جبهة النصرة وتوجهاتها السياسية[37].

لا تشذ جبهة النصرة عن التنظيرات الأساسية لتيارات السلفية الجهاديّة، منذ نشأتها وكما بلورها سيد قطب، وصولاً إلى إضافات الشيخ عبد الله عزام أحد أهم منظري الجهادية العالمية.

فالمرجعية العقائدية لدى النصرة هي المرجعية ذاتها لدى تنظيم القاعدة العالمي، والتي تتمثل بالكتاب والسنة والإجماع. وهي مرجعيةٌ أصولية على الصعيد الفكري، تستلهم أيديولوجيا الإسلام السياسيّ بنسخته الأكثر تطرفاً، يقول العريدي: "مرجعيتنا هي مرجعية أهل السنة والجماعة، من الكتاب والسنة وفهم القرون الفاضلة الأولى من الصحابة والتابعين"، وينصح العريدي أتباعه بقراءة كتاب: "معالم في الطريق" لسيد قطب رحمه الله. وكتاب "لا إله إلا الله عقيدةٌ وشريعةٌ ومنهاجُ حياة" للشيخ محمد قطب.. ومن مراجعنا المعاصرة "الشيخ محمود بن عُقلا الشعيبي" و"الشيخ عبد الله عزام""، وجميعهم يعتبرون من مؤسسي الفكر الجهادي المتطرف.

إن أكثر ما يهم في هذا السياق هو رؤية جبهة النصرة لطبيعة المستقبل السياسي لسوريا ما بعد الأسد، وهي رؤية سنراها واضحة في أكثر من موضع، في تصريحات العريدي المختلفة، وفي اللقاء الذي أجري مع الجولاني على قناة الجزيرة في وقت سابق.

يقول الجولاني في رده على سؤال تيسير علوني صحفي الجزيرة: ما هي رؤيتكم لمستقبل سوريا السياسي؟ بالقول: "جبهة النصرة لن تنفرد في قيادة المجتمع.. عند مرحلة تحرير دمشق، ستجتمع

[37]- جبهة النصرة، مقابلة مع الدكتور سامي العريدي، بعنوان "منهجنا وعقيدتنا"، 21-10-2013. http://www.youtube.com/watch?v=pYb8Rh_Kwpo

لجان شرعية ويجتمع أهل الحلّ والعقد.. وتعقد مجالس الشورى، وتوضع خطة لإدارة البلد، **وبالطبع** ستكون وفق الشريعة الإسلامية، يحكم فيها شرع الله، وتبسط فيها الشورى وينشر العدل"[38].

لا يراوغ الجولاني في عرضة لأيديولوجيا تنظيمه، ولا يتلكأ في إعلان الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها تنظيمه، ويعيد ويؤكد على ذلك مراراً وتكراراً، يقول في موضع آخر من المقابلة: "نحن لا نسعى إلى أن نحكم البلد –سوريا– بل نسعى إلى تحكيم الشريعة في البلد.. المهم أن تقوم حكومة إسلامية على منهاج النبوة تسعى إلى تحرير ديار المسلمين، وتطبق شرع الله".

وعلى الرغم من سعي العديد من شخصيات المعارضة السورية إلى وضع مسافة بين النصرة وتنظيم الدولة الإسلامية، باعتبار أن جبهة النصرة "شيء مختلف"، إلا أن كلا الطرفين يتفقان حول مستقبل سوريا من جهة، والموقف من أنظمة الحكم الحديثة وفي مقدمتها الديموقراطية من جهة أخرى.

فالنظام الديموقراطي وفق العريدي: أساسه ومبناه يخالف النظام الإسلامي، فالنظام في الإسلام يستمدُّ أحكامه وسلطانه من شريعة الله.. فالنظام والحكم لدينا في الإسلام قسمان: فالحكم إما حكمٌ ربانيٌّ، وإما حكمٌ جاهليٌّ نهجره ونتركه ولا نسلكه[39].

من جهة أخرى، يتّسم فكر جبهة النصرة **بطائفية جذرية** في تحليله لطبيعة الصراع الدائر في سوريا[40]، وهو فكرٌ طائفيّ يكاد يتطابق مع تنظيرات أبي مصعب السوري في كتابه: أهل السنة في الشام في مواجهة النصيرية والصليبية واليهود"[41] والذي يستنجد فيه بكثير من الحالات "بشيخ الإسلام" ابن تيمية في وصفه للنصيريين بأنهم أكفر من اليهود والنصارى والمشركين.

ففي ردّه على سؤال العلوني "هل الصراع في سوريا صراعٌ طائفيّ مذهبيّ أم الشعب السوري طلاب حرية؟"، يقول: "الصراع هو منذ زمن، صراع طائفي، وهو صراع فطري، الله جبل الناس ليتدافعوا بين الحق والباطل". ويتابع بالقول: "الحكم في سوريا كان حكم الطائفة النصيرية".

38- برنامج لقاء اليوم على قناة الجزيرة القطرية، أبو محمد الجولاني.. النصرة ومستقبل سوريا 19-12-2013، http://www.youtube.com/watch?v=DIr1HoHJlQA

39- جبهة النصرة، مقابلة مع الدكتور سامي العريدي، بعنوان "منهجنا وعقيدتنا"، مرجع سابق.

40- راجع: السلطة المرجعية لجبهة النصرة، حسن أبو هنية، 31 اغسطس 2014، موقع عربي21.

41- أبو مصعب السوري، أهل السنة في الشام في مواجهة النصيرية و الصليبية و اليهود، حزيران 2000، http://www.tawhed.ws/r?i=jf3hqhhd

بينما مستقبل "الأقليات" في سوريا فيبقى غائماً وفق تصريحات جبهة النصرة على لسان أميرها الجولاني، الذي يقول: "هناك نظامٌ إسلاميٌّ له الحكم وتصدر على الأقليات، هناك واجبات وحقوق لهذه الأقليات، وهناك بعض الفروق عليها أن تؤديها هذه الأقليات".

بينما لا نعلم بالضبط ما هي "هذه الفروق" التي عليها أن تؤديها هذه الأقليات، هل سيكونون مواطنين من الدرجة الثانية مثلاً؟ أم هل سيفرض عليهم "الجزية" أسوة بالسلف الصالح؟ لا شيء واضح على هذا الصعيد سوى أن المستقبل مصمّمٌ وبشكل مسبق على قياس الفكر السلفي الجهادي بأكثر نسخه تطرفاً وعصاباً، مستنداً على بديهية سائدة، تقول إن الحكم في سوريا هو حكم الأغلبية، والأغلبية وفق الفكر الطائفي هي الأغلبية السنية.

2-2: الهيكلية التنظيمية لجبهة النصرة

بخلاف التشكيلات العسكرية السورية التي نشأت إبّان تحوّل الثورة السورية إلى العمل المسلح، ترتكز جبهة النصرة على تاريخ عريق للعمل الجهادي، السياسي والعسكري، هو بطبيعة الحال تاريخ تنظيم القاعدة العالمي ذاته[42].

لم تولد جبهة النصرة من العدم، بل ولدت من أحشاء تنظيم الدولة الإسلامية في العراق، وأغلب قيادات الجبهة كانوا قد اكتسبوا خبراتٍ عسكريةً وسياسيةً واسعة أثناء قتالهم إلى جانب تنظيم القاعدة في أفغانستان عبر العقود الماضية، إلى جانب قتالهم في العراق ضدَّ القوات الأمريكية. ومن هنا ولدت النصرة وفي جعبتها إرثٌ طويلٌ من الخبرة الميدانية والتنظيمية.

شكلت تنظيرات أبي مصعب السوري[43]، مرجعيةً أساسية على صعيد بناء الهيكلية التنظيمية لجبهة النصرة، حيث استلهمت النصرة من أبي مصعب أغلب توصياته حول طبيعة البناء الداخلي للتنظيم، والتي استند فيها على تجربته العريقة في سوريا أثناء صراع الإخوان المسلمين ضدَّ نظام الأسد في عقد السبعينيات، وفي أفغانستان فيما بعد أثناء قتاله إلى جانب ابن لادن.

42- يقول الجولاني في مقابلته على قناة الجزيرة: "ليست النصرة وليدة اللحظة الراهنة، بل يمتد مشروع الجبهة منذ سقطت الخلافة العثمانية، وبدأ بعدها نشوء التيار السلفي الجهادي والذي كان تنظيم القاعدة في أفغانستان تجسيده.. نحن ثمرة من ثمرات الجهاد العالمي الذي حدث..".

43- راجع الكتاب الأهم لأبي مصعب السوري، دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، كانون أول 2014.

ككل التنظيمات الجهادية، يتربع "الأمير" على رأس تنظيم جبهة النصرة، وهو زعيم له صفاتٌ سياسية وعسكرية ودينية، تجري مبايعته من قبل جميع التابعين له على الأمر والطاعة، وبالنسبة للنصرة، يقف أبو محمد الجولاني على رأس هرم التنظيم بصفته أميراً له.

المنصب الثاني الذي يلي أمير الجبهة هو الشرعيُّ العامُّ لجبهة النصرة، وأيضاً له صفةٌ عسكريةٌ ودينية في الوقت ذاته، وهو يشغل منصب أقرب إلى أن يكون كبيرَ القضاة في التنظيم، ويحتلُّ هذا المنصب اليوم في جبهة النصرة الدكتور سامي العريدي.

الحلقة الثالثة في هيكلية النصرة، يأتي مجلس شورى المجاهدين، وهو مجلسٌ له صلاحياتٌ واسعةٌ ومقررة، مؤلف من 12 عضواً، من أبرزهم الجولاني والظواهري (عضو مراقب)، وغيرهم، غالباً لا يتم إقرار القرارات الإستراتيجية دون الرجوع إليه، نزولاً عند قوله: " وأمرهم شورى بينهم ".

يخضع أمراء محليون في المحافظات والمدن السورية لأمر الأمير القائد للتنظيم، وجميعهم يعدون من قيادات الصف الأول والثاني في تنظيم النصرة.

إلى جانب ما تقدّم، ينتشر في المدن والبلدات التي تسيطر عليها النصرة، هيئات شرعية ومكاتب إعلامية ومؤسسات مدنية للإغاثة وتوزيع المعونات للسكان، وجميعها على الصعيد الداخلي لكل دائرة، تخضع لتراتبيةٍ شبيهة بتراتبية التنظيم ككل، ففي كل مجموعة يوجد أميرٌ يقودها (أمير المكتب الإعلامي، أمير الهيئة الشرعية، أمير المحروقات.. إلخ)[44]، وجميع الأفراد العاملين في هذه المجموعات عليهم مبايعة أميرهم على السمع والطاعة.

وكما أشرنا أعلاه، تتبنى جبهة النصرة تطبيق هيكلية تنظيمية تكاد تكون متطابقة مع تصورات وتوصيات أبي مصعب السوري، كما سنلاحظ مباشرة.

يقدم أبو مصعب تصوّراته حول البنية الهيكلية للتنظيم الجهادي، وتكتيكات العمل العسكري، مستنداً إلى خبرةٍ ميدانية تمتد لأكثر من ثلاثة عقود من التجربة الشخصية، ولتجربة التيارات الجهادية المختلفة، ويقدم قراءة نقدية للعديد من الإستراتيجيات القتالية والتي لم تعد تجدي نفعاً في الحروب الحالية.

[44]- معلومات حول هيكلية التنظيمات السلفية الجهادية، حصل عليها الباحث أثناء لقاء مع أحد مقاتلي أحد التيارات الجهادية في الغوطة الشرقية وكان يشغل منصب "أمير المحروقات"!.

يبني أبو مصعب تكتيكاته العسكرية على ركيزتين أساسيتين وهما: جهاد الإرهاب الفردي والعمل السري للسرايا الصغيرة المفككة عن بعضها كلياً، والمشاركة في جهاد الجبهات المفتوحة حيث توفرت شروطها. " فجهاد الإرهاب الفردي وحروب العصابات التي تقوم بها الخلايا الصغيرة, يمهد للنوع الآخر (جهاد الجبهات المفتوحة)، ويساعده ويرفده. ولكن بدون المواجهة الميدانية والسيطرة على الأرض لا تقوم لنا دولة. وهو الهدف الإستراتيجي لمشروع المقاومة"[45].

وإذا ما نظرنا إلى الشكل الذي اعتمدته جبهة النصرة، سنجد أنه يكاد يتطابق مع هذا الطرح الذي يقدمه أبو مصعب؛ فجبهة النصرة فعلياً بدأت نشاطها في سوريا، متبعة الأسلوب "الغير مركزي"، معتمدةً على عمل المجموعات الصغيرة الغير مترابطة، والعمل الفردي، والذي تم من خلاله تنفيذ العشرات من العمليات العسكرية الانتحارية والمفخخات وغيرها قبل أشهر من الإعلان عن جبهة النصرة كتنظيمٍ فعليٍّ، وهذا التكتيك سبق فعلياً سعي جبهة النصرة إلى السيطرة على أراضٍ سورية واسعة، أي الانتقال إلى مرحلة "جهاد الجبهات المفتوحة"، والذي اعتمدته الجبهة فعلياً بعد منتصف عام 2012.

ويكاد في هذا السياق، أن يكون كلام أبي مصعب المكتوب في عام 2004، وكأنه توصيفٌ لممارسات جبهة النصرة اليوم على الأراضي السورية، يقول: "أما من أراد من المجاهدين المساهمة في المواجهة المفتوحة، **فعليه بالتوجه إلى حيث تفتح الجبهات** لما تفتح، **والعمل تحت قيادة قياداتها الميدانية**، طالما توفر الحد الأدنى للراية الشرعية والجهاد الشرعي تحت شعار الإسلام العام، بما يتوافق مع أصول المقاومة وأيديولوجيتها وعقيدتها الجهادية. فإذا ما أسفر الجهاد في جبهة من تلك الجبهات عن انتصار المسلمين، فإن ذلك سيكون نواة لإمارة إسلامية من المفترض أن تحكم بشرع الله"[46].

وفعلاً تمكّن المنتفضون في سوريا، ومنذ أواخر عام 2011، من فتح جبهاتٍ واسعةٍ مع قوات الأسد، وتمكّنت العديد من الخلايا التابعة لجبهة النصرة، وقبل الإعلان عن وجودها أصلاً، من العمل تحت غطاء المجاميع العسكرية السورية التي كانت متواجدة في تلك الأثناء. ولم تظهر

---

[45] - راجع: دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، مرجع سابق.
[46] - دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، مرجع سابق.

راية النصرة إلا بعد أشهر على ذلك، بدليل تبني النصرة للعديد من العمليات التفجيرية والتي كان قد مضى زمنٌ على تنفيذها.

من خلال الخبرة التاريخية لعمل التنظيمات الجهادية، اكتشف أبو مصعب خطورة العمل التنظيمي المركزي من جهة، وخطورة فتح جبهات واسعة لهذا التنظيم، في ظلِّ اختلال في موازين القوى، فاعتبر أن مركزية العمل الجهادي غالباً ما كانت في ظل اختلال موازين القوى تؤدي إلى اختراق التنظيم من قبل الأجهزة الأمنية والاستخباراتية، التي تمكنت من "القضاء على التنظيم كلّه، في حالات كثيرة، جراء اعتقال بعض أفراده بفعل تعذيب الأسرى.

وبناء على ذلك استنتج أبو مصعب، ضرورة إجراء تغيير في آليات العمل، واعتماد أسلوب العمل **اللامركزي**، ويوصي بضرورة اعتماد جهاد الإرهاب الفردي والعمل السرّي للسرايا الصغيرة المفككة عن بعضها كلياً، فهي آلية عمل تجمع ما بين شكل من أشكال المركزية على صعيد الانتماء والشعارات والرموز والأفكار، وبين عدم الارتباط المركزي بحيث لا يمكن إجهاضه أمنياً"[47]. ويفرد حول ذلك فصلاً كاملاً بعنوان: "خصائص طريقة عمل سرايا المقاومة الإسلامية العالمية"، وفيه سنجد جميع التوصيات من أجل إنجاح عمل التنظيم.

إن أهم ما يميز هذا الخيار التنظيمي للعمل أنه ليس فيه "أي رابط تنظيمي من أي شكل للمنتمين كافةً لسرايا المقاومة الإسلامية العالمية إلا الارتباط بـ (منهج الاعتقاد، ونظام العمل، والاسم المشترك، والهدف المشترك). فهذا النظام من العمل هو "نظام عمل لا تنظيم مركزي للعمل، حيث تقوم الفكرة على أن يتم ربط أطياف المقاومين كافة، أفراد وخلايا وسرايا وجماعات محدودة بثلاثة روابط مركزية فقط وهي: 1- الاسم المشترك والعهد الشخصي مع الله تعالى على الانتماء إليه، 2- المنهج السياسي الشرعي والعقيدة المشتركة والعهد مع الله على الالتزام به، 3- الهدف المشترك وهو مقاومة الغزاة وحلفائهم والعهد مع الله على الجهاد في سبيله لدحرهم، ثم العمل على تحكيم شرعه"[48].

لا تشذُّ جبهة النصرة إطلاقاً عن توصيات أبي مصعب حول اختيار طريقة العمل اللامركزي، وربط جميع مجموعاتها وحتى المنتمين إليها بشكل فردي بأطرٍ عامة يتفق حول شرعيتها،

47- المرجع السابق.

48- المرجع السابق.

كالاتفاق على اسم الأمير وراية الجهاد واتجاهه، بينما لهذه المجموعات صلاحيات واسعة في اختيار أهدافها وتكتيكاتها التي تراها مناسبة على أرض الواقع حيث "تعتبر كل سرية مكونة من فرد أو أكثر وحدة مستقلة يرأسها أميرها ويدبر شؤونها"؛ وهو الشيء الذي كفل لجبهة النصرة السرية التامة لما يقرب من الستة أشهر على عملها، وحتى بعد الإعلان عن تأسيس الجبهة، بقيت النصرة محاطة بجوٍّ من السرية التي كان من الصعب اختراقها، ليس فقط من قبل الأجهزة الأمنية، وإنما أيضاً من قبل تيارات جهادية شبيهة بها كتنظيم داعش، والذي سعى إلى اغتيال عدد من زعامات النصرة، وفشل في الوصول إلى أبي محمد الجولاني رغم كل الجهود الذي بذلها البغدادي بشكل شخصي للقاء الجولاني؛ "إنّ النصرة لم تكن تنظيمًا جهاديًا تقليديًا بقدر ما كانت وعاء يجمع هذه السرايا المتشابهة فكريًا وأيديولوجيًا ويطوِّر بنيتها التنظيمية، ويرفدها بعناصر ومنتسبين جدد، لتشكيل "جبهة عريضة" تكون عنوان الجهاد ومقصد المجاهدين في سوريّة"[49].

وحقيقة الأمر، أن أغلب الدراسات التي حاولت التصدي لجبهة النصرة وسعت للحصول على معلومات حولها، صدمت بشحِّ المعلومات وعدم دقتها في كثير من الأحيان، وكل هذا كان نابعاً من التكتيكات التنظيمية التي اعتمدتها جبهة النصرة بنجاح قلَّ نظيره، فبقي التنظيم بمنأى عن الاختراقات قدر المستطاع، ولذلك، رأينا بأن تنظيم جبهة النصرة، هو حصيلة تجارب عسكرية وسياسية للجهادية العالمية امتدت على عدة عقود، وتمكنت جبهة النصرة من قطف ثمارها.

يشدّد أبو مصعب على ضرورة اعتماد أسلوب عمل "السرايا" في تكتيكات التنظيم، وتقوم فكرة السرايا على تجانس السرية ضمن خيار أعضائها، وتعمل وفق مسمى هي تختاره، وتنفذ عملياتها من دون أن تكون مجبرة على الرجوع إلى قيادة مركزية للتنظيم، وهو عملياً ما يفسر الاسم الذي اعتمده الجولاني لتنظيمه، حيث دعاه "بجبهة النصرة"، أي هو جبهة تضم العديد من المجموعات والسرايا والكتائب، والعديد منها نشط بداية الأمر باسمه الخاص كالكتيبة الخضراء، وكتائب الشام وغيرها العشرات من المجموعات التي كانت تسمي عملياتها باسمها لا باسم أي تنظيم آخر.

وبالاستناد إلى ما سبق نلاحظ أن الهيكلية التنظيمية لجبهة النصرة تتجلى بالشكل التالي:

49- جبهة النصرة لأهل الشام: من التأسيس إلى الانقسام، حمزة مصطفى المصطفى، نوفمبر 2013، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

على صعيد رأس الهرم القيادي يوجد ثلاثة مناصب أساسية: وهي أمير الجبهة، وشرعيٌّ عامّ الجبهة، ومجلس الشورى.

على صعيد القواعد، تنقسم جبهة النصرة إلى ثلاثة أشكال للتنظيم، وهي: المجموعة، والتي تضم بضعة أفراد (تصل حتى 25 مقاتلاً) ويقودها قائد المجموعة ويدعى بالقائد الميداني، والسرية والتي تضم عدد من المجموعات، ويصل فيها عدد المقاتلين حتى 200 مقاتل، يقودها أميرٌ تجري مبايعته على الأمر والطاعة، وهو أيضاً قائدٌ ميدانيٌّ ويتحلى بصلاحيات واسعة على صعيد العمل العسكري والميداني، والكتيبة والتي تضم العديد من السرايا ويقودها أمير غالباً هو أمير الإقليم وأيضاً له صلاحياتٌ واسعة باستثناء القضايا الحساسة والتي تفترض به العودة إلى مجلس الشورى.

على الصعيد الفردي، يخضع المنتسبون من السوريين لجبهة النصرة لشروط عديدة حتى يتم قبولهم؛ بداية على المنتسب أن يكون من المسلمين السنة تحديداً، حتى ولو أسلم لاحقاً، وثانياً يجب أن يحصل على تزكية من أحد الشخصيات الموثوقة لدى التنظيم، وثالثاً، يخضع المنتسب لعدة دوراتٍ تربويةٍ دينية وعسكرية، ويتخرج فيما بعد ليشغل أحد المواقع التي يختارها التنظيم له. وفي خطوة لاحقة، اندرجت في سياق مزيد من التحصينات الأمنية، تعاملت النصرة مع انضمام "المهاجرين" بحذرٍ كبير، حيث اتبعت طريقتين في قبول المهاجرين بين صفوف مقاتليها: "الأولى عبر المنسق المعتمد في البلاد التي تجرى الهجرة منها، كالمنسق في بلاد الحرمين مثلاً؛ فلا تقبل الجبهة انضمام أي سعودي إلى صفوفها ولو كان يعرفه بعض عناصرها، ما لم يأت عن طريق منسقها المعتمد. والثانية تسمى الانضمام غير الرسمي؛ لأنه لا يتضمن اتباع الدورات اللازمة في معسكرات الجبهة. وفي هذه الحالة يأتي الجهادي ويدخل سوريا ويشارك فيما يسمى «رباط جبهة النصرة» ويقاتل أحياناً بجانبهم. وبعد تجريبه فترة معينة يبايع الأمير ثم يُقبل في صفوف الجبهة"[50].

أفرد أبو مصعب السوري، العشرات من الصفحات لشرح تصوراته حول كيفية بناء الهيكل التنظيمي للتنظيم الجهادي، واستعاد نقدياً تجارب العديد من التيارات الجهادية في العالم، ولم يكتفِ بذلك، فاستلهم أسس حرب العصابات من كبار قادة الثوار في العالم كماوتسي تونغ وتشي

[50]- راجع: «جبهة النصرة».. لماذا حظيت بتمويل أعلى من التنظيم الإسلامي الجهادي الدولي؟، رضا محمد العراقى، جريدة الشعب 2013: http://cutt.us/TZyc

غيفارا وكاسترو وغيرهم من الثوار، وخلص إلى نتائج في غاية الأهمية، شرح من خلالها أدق التفاصيل حول آلية العمل التنظيمي وشكل بنائه، ونقلت جبهة النصرة عن أبي مصعب هذه التوجيهات بشكل شبه حرفي، فبنت هيكلية تنظيمها بالاستناد إلى تلك التنظيرات، وضمنت عبر ذلك أمن تنظيمها وصعوبة اختراقه، ورفعت من جاهزية أعضائه، وهو ما جعل من تنظيم جبهة النصرة، واحداً من أقوى التنظيمات العسكرية على الساحة السورية.

خاتمــة

باشرت جبهة النصرة نشاطها في سوريا بصفتها داعمة "لجهاد" أهل الشام ونصرة لهم، ومع الوقت –وهو وقت قصير بطبيعة الحال– تحولت النصرة إلى واحد من أهم اللاعبين على الساحة السورية، وبعد إعلان النصرة عن تأسيس إمارتها على أرض الشام، باتت مشاركة في تصميم ورسم ملامح مستقبل سوريا ما بعد سقوط نظام الأسد. وهو مستقبل شديد القتامة إذا ما توخينا تصورات جبهة النصرة حول طبيعة هذا المستقبل وعلاقته مع السوريين باختلاف مكوناتهم.

تجسّد النصرة التصور الأشد تطرفاً للإسلام السياسي، وهي الجيل الأحدث لتنظيم القاعدة العالمية، وهي تكثيفٌ حيٌّ وملموس لتاريخ وخبرات وإرث هذا التنظيم.

ولا تخفي جبهة النصرة أيّاً من توجهاتها السياسية والأيديولوجية، ولا تجد غضاضة في أن تعرّفَ نفسها كتنظيمٍ سلفيٍّ جهاديٍّ من الطراز المتطرف.

على صعيد سياسي، تقدم جبهة النصرة تصوّراتها الواضحة حيال طبيعة الدولة ومرجعيتها، وهي المرجعية الإسلامية، ككل تيارات الجهاد العالمي، كما لا تخفي عداءها تجاه الديموقراطية وأنظمة الحكم المدنية بشكل عام.

بيد أننا من الصعب أن نجد لدى جبهة النصرة ومنظريها أي إشارة حول طبيعة النظام الاقتصادي– السياسي الذي ستعتمده ما بعد سقوط النظام الحالي، ولا يوجد في أدبياتها أي إجابات حول الأسئلة العويصة التي ستطرح على جميع القوى السياسية والاجتماعية في سوريا ما بعد الحرب، بيد أن للجبهة الكثير من التسجيلات والإصدارات والتلاوات حول طبيعة حكم الله

على الأرض، وكيف يمكن لسلطان الله أن يتجلى على أرض السوريين، التي لم تُبقِ الحربُ منها حجراً على حجر.

عند هذه النقطة، لن نجد لدى جبهة النصرة أي إجابات واضحة، حول كيفية علاجها للفقر على سبيل المثال، وكيفية الانتقال بسوريا من بلدٍ مفكّكٍ إلى بلدٍ حديث، وكيف يمكن في المحصلة التصدّي لأسئلة العصر بأجوبة خارجة من كهوف الذاكرة والتاريخ.

هنا، لن نجد لدى جبهة النصرة سوى يوتوبيا حول حكم الله، تستلهمه من تاريخ ذهبي لا نعرف بالضبط إن كان حقيقياً أم لا، تاريخ تختلط فيه الأوهام بالأمنيات، وتستحضر أشباحه لتخيّم فوق رؤوس السوريين المنكوبين.